مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الطلبة الجزائريون بتونس واسهاماتهم في العمل الوطني التونسي خلال الفترة (1900-1945م)

Algerian students in Tunisia and their contributions in Tunisian national action during the period (1900-1945)

د/ خير الدين يوسف شترة [1]

[1] قسم التاريخ والحضارة الإسلامية- جامعة الشارقة، kchatra@sharjah.ac.ae

تاريخ الاستلام: 04 أوت 2019 تاريخ القبول: 06 نوفمبر2019

Abstract :

The Role of Algerian Students in Tunisia in Supporting Tunisian Patriotic Acts. During the period (1900-1945) AD The historical period under investigation in this paper represents an important juncture in the formation and growth of the Algerian and Tunisian national movements. This is because during this phase, the two movements achieved many successes and also experienced a number of failures and setbacks. This paper documents the fluctuations in the development of these movements, focusing primarily on student activities in Tunisia during this period citing data of Algerian student presence in that country. In both the Tunisian and Algerian contexts, students were significant participants in the national movements, whether they were in a state of ebb or flow. It is, therefore, a serious omission to present the evolution of these movements without

المؤلف المرسل: خير الدين يوسف شترة.
البريد الالكتروني: kchatra@sharjah.ac.ae

alluding to the contribution of student bodies. These Algerian students, who constituted the majority of the educated and working class, voiced, by virtue of their origins, the deep concerns of the country and represented its living conscience. They played a significant role in spearheading the Tunisian nationalist movement from as early as the time of the declaration of the country as a French protectorate and the emergence of the Tunisian Youth Movement. That is if they had not, in fact, initiated the whole movement on its whole. That took place during a period of social transformation and calls for independence towards the end of the First World War, which were spurred by the social upheaval that the Tunisian society experienced as a direct result of the economic crisis and colonization. It also should be noted here that the split in the ranks of the Algerian national movement in the mid-thirties of the last century has caused divergence among Algerian students in Tunisia. While . The Arab-Islamic ideology of the old Constitutional Party has attracted the students of the Association of Ulama or Ben-Badists, modern activism, and national struggle movements of revolutionary dimension as pursued by the New Constitutional Party attracted students of the People's Party or the Masalists. This political duality in the Tunisian arena has provided the students with an overall integration and complementation of thought that placed them at the intersection of this ideological split. The result was the ideological schism of 1947, which was confirmed in practice in the fifties in the form of two student organizations inverse by their contrasting views and which produced the dual nature of the liberal arena, whether in Tunisia or Algeria. The bilateral competition became a basic peculiarity of the national movement in the Maghreb in general. It is surprising then that this enormous student force (graduates of Tunisian universities and institutes), which has on many occasions proved its ability to impose its presence on the political arena of Algeria and Tunisia, mobilize the masses and gain public sympathy, did not, during the period in question,

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

build a political organization that espouses purely Islamic thought, such as the Muslim Brotherhood in Egypt, or purely Arab nationalist sentiments, such as the Arab Baath Party or the Arab Nationalist Movement in Syria. This begs the question of whether this student mass had not matured enough to organize politically or whether it simply was not strong enough to withstand the oppression it experienced.

Key words:
Algerian students in Tunisia - Tunisian National Movement - Algerian immigration- History of Tunisia.

الملخص:

مثّلت الفترة التي تهم موضوع بحثنا مرحلة مهمة من مراحل تشكل الحركتين الوطنيتين الجزائرية والتونسية ونموهما، فحققت هاتين الحركتين خلال المرحلة المعنية نجاحات، كما شهدت أيضاً إخفاقات وانتكاسات، وفي عملنا هذا سنعمل على تتبع مختلف التقلبّات التي مرّت بهما، مع التركيز على رصد أدوار العناصر الطلابية الجزائرية الفاعلة في الساحة الوطنية التونسية، ويمكننا القول أن هذه العناصر كانت حاضرة باستمرار في خضم تلك الأحداث، بحيث لا يستقيم البتّة الحديث عن حركة وطنية جزائرية أو تونسية إذا نحن حاولنا تجاوز أدوار الطلبة أو إقصاءهم بأي حال، ذلك أن الطلبة الجزائريين الدارسين بتونس والذين تتكوّن منهم في الواقع الطبقة الاجتماعية والثقافية الكادحة يُمثلون بحكم منشئهم مشاغل البلاد العميقة وضميرها الحي. والجدير بالذكر أن دورهم في تنشيط الحركة الوطنية التونسية قد بدأ في فترة مبكرة أي مع بداية فرض الحماية الفرنسية على تونس، ثم تزايد هذا الدور مع ظهور حركة الشباب التونسي، وسنتلمس حيوية أكثر في إسهاماتهم خلال مرحلة انبثاق عملية التحوّلات الاجتماعية والثقافية بُعيْد الحرب العالمية الأولى، تحت تأثير تراخي القبضة الاستعمارية وتفكك عناصر المجتمع التقليدي بمفعول الأزمة الاقتصادية التي مسّت تونس. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الانشقاق الذي حصل في صفوف الحركة الوطنية الجزائرية في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي قد تسبب في تشتيت الطلبة الجزائريين بتونس،إن هذه الازدواجية السياسية على الساحة التونسية وضعت واقع الطلبة الجزائريين في منتصف الطريق أو في ملتقى النزعتين المتناقضتين.. ليحدُث بعدها الانفصام الإيديولوجي بعد سنة 1947م في شكل تنظيمين متشاكسين؛ عكسا بتفرقهما طبيعة الساحة التحررية في كلا القطرين خلال هذه المرحلة، حيث أصبحت التنافسية الثنائية خصوصية أساسية تطبعت بها الحركات الوطنية المغاربية عموماً. والغريب أن هذه القوة

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الطلابية الهائلة (خريجي الجامعات والمعاهد التونسية) والتي أثبتت قدرتها في عديد المناسبات على فرض وجودها لم تفرز في الفترة موضوع دراستنا تنظيمًا سياسياً خاصًا بها يرفع شعارات إسلامية صرفة مثل حركة الإخوان المسلمين في مصر، أو شعارات قومية عربية صرفة، مثل حركة القوميين العرب في سورية، والسؤال المطروح هنا عمّا إذا كانت تلك القوة الطلابية لم تنضج بالقدر الكافي الذي يؤهلها للتنظيم سياسياً، أم أنها لاقت من القمع ما فاق قدراتها على التصدي وقضى عليها بالبقاء دون تلك المرحلة؟

الكلمات المفتاحية:

الطلبة الجزائريون بتونس- الحركة الوطنية التونسية- الهجرة الجزائرية- تاريخ تونس.

المقدمة:

إن دراسة الحركة الطلابية الجزائرية في تونس منذ نشأتها إلى غاية قيام الحرب العالمية الثانية يُعتبر من المشاريع التي تثير لا محالة بعض الملاحظات حول حجمها وكثرة تفاصيلها التي أبدو فيها عاجزاً عن إعطاء تفسيرات واقعية لها نظراً لشحّ المعلومات وانعدام الوثيقة المصدرية كمذكرات شخصية لهؤلاء الطلبة الناشطين في الميدان السياسي، لكن عموماً فالنشاط السياسي لهؤلاء الطلبة قد تميّز حتى أوائل العشرينيات من القرن العشرين ببعض الأعمال التلقائية كتلك التي قام بها الطالب توفيق المدني وصالح بن يحي... واعتباراً من مطلع العشرينيات ظهرت المبادرات الفعلية للطلبة الجزائريين مع ظهور الأحزاب والجمعيات والنوادي والنقابات والصحف، كما تميّزت مرحلة الثلاثينيات بسرعة الأحداث التاريخية، وهو أمر يمثّل منعرجاً في تاريخ العمل الوطني مع ما تبع ذلك من أعمال قمع من لدن الإدارة الاستعمارية؛ ذلك أن الطلبة الجزائريين قد برزواخلالها بأعمالهم الواسعة النطاق، وكذا بأنشطتهم المتواصلة والمثيرة للانتباه وأضحو يمثلون عنصراً كامل الحقوق ضمن الحركة الوطنية التونسية.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الانشقاق الذي حصل في صفوف الحركة الوطنية في منتصف الثلاثينيات تسبب في تشتيت الطلبة الجزائريين، لكن في مرحلة ما قبل حزب البيان والحرية (1945م)، كانت هذه الازدواجية السياسية لكلا التيارين على الساحة التونسية توفّر للطلبة عموماً تكاملاً وتمازجاً لا تنفصم عُراه وتضعهم في منتصف الطريق أو في ملتقى النزعتين.. وقد ميّزت هذه الثنائية حالة الطلبة الجزائريين حتى سنة 1945م ونشوءذلك التحالف الغريب بين الإصلاحيين والبيانيين على وجه الخصوص، ليحدُث بعدها الانفصام الإيديولوجي بعد سنة 1947م ليتأكد عملياً في الخمسينيات في شكل تنظيمين طلابيين متشاكسين عكسا بتفرقهما طبيعة الساحة التحررية والوطنية سواء في تونس أو في الجزائر.

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1. خصوصية العلاقة وطبيعة الدور الطلابي الجزائري في الحياة التونسية:

لماذا الكتابة عن خصوصية هذه العلاقة؟ ولماذا نركّز على البعد المغاربي في طبيعة الدور الجزائري؟ ثم لماذا نتكلم عن الوحدة المغاربية[1] وراء مساهمات طلاب الجزائر بتونس؟ وهل هناك فصل بين هذين النوعين من الوحدتين (المغاربية–العربية) من خلال الأدبيات الجزائرية؟ أم أنهما معًا يُشكلان بعدًا واحدًا مع اختلاف في المدى؟ على أساس أن الوحدة العربية الشاملة هي وحدة للذات، وبالتالي فالحديث عن الوحدة المغاربية لا يعدو أن يكون إجراءً منهجيًا ليس إلا.

ويجب أن نُقرّ مبدئيًا أن الحديث في هذا المنحى يعتبر حديثًا ساقطًا لا يُتوخى منه سوى الفصل بين الوحدتين أي إبراز وجود خصوصية في درجة القطيعة رغم أننا في كل المباحث التي ستلي الحديث عن الوحدة المغاربية والعربية معًا من خلال السرد التاريخي لنضالات هذه النخبة المثقفة سيتجلى لنا وبوضوح هذا الإقرار خصوصاً حين نتعاطى مع الوحدة الجهوية باعتبارها خطوة نحو الوحدة الشاملة[2]، وقد نشعر بنفس القلق الفكري أيضاً حين نريد مساءلة الوعي القومي والملي لدى النخب الجزائرية خلال هذه المرحلة التاريخية، إذن: فلماذا الكتابة بالضبط عن الوعي القومي في الجزائر؟ وهل هذا الوعي لدى الجزائريين، وعيان أحدهما مغربي وآخر مشرقي أم كلاهما شيء واحد؟

إن الحدث القومي بالجزائر خلال هذه الفترة قد أثار جملة من التساؤلات مقارنة مع نظيره بالمشرق، حيث تعلقت أساسًا بتاريخ تكوّنه وبموضوعاته أيضاً

وبدرجة تقدمه ومحدوديته ووقعه وفعله.. ومن أهم هذه الموضوعات ظاهرتي الاختلاط بين العروبة والإسلام، وأيضاً تداخل الوعي بالانتماء إلى الأمة العربية مع الوعي الوطني أي الانتماء القطري !![3]وأنا أدرك تمامًا - رغم صلاحية هذه التساؤلات من حيث الطرح المنهجي- بصعوبة التعاطي معها إلا أن الموضوع ذاته مازال بكرًا قياسًا لما كُتب حوله وأنجز، عموماً فإن ما يربط ما بين الشعبين التونسي والجزائري، قد نجد له تفسيراً في الوحدة التاريخية والجغرافية ذات البعد المغاربي الشامل، وهذا ما سيُعقّد حتماً من فهم واستيعاب طبيعة الإسهامات النضالية للطلبة الجزائريين الدارسين بتونس والمحصورة في مرحلة زمنية محدودة جدًا غير أنها بالمقابل غنية بالفخر والإثارة.

وفي الحقيقة فإن الحديث عن خصوصية العلاقة يُحيلنا بالضرورة إلى الحديث عن الدور الذي قامت به النخب الجزائرية مغاربيًا من منطلق وزنها الإقليمي والإستراتيجي وهو الوزن الذي جعل الصحفي العراقي –بحري يونس– يقول عام 1958م ما يلي: «في الواقع فإن الاستعمار الفرنسي في الجزائر إذا بقي هكذا محتفظًا بقواته المسلحة على أرض الجزائر فإن وحدة المغرب العربي لن تتم ولن يتحقق استقلال تونس والمغرب مطلقًا.. وقد أعجبني ما كتبه الصديق المجاهد "عبد المجيد بن جلون" قائلاً: «..إن الشيء القليل الذي حققنا في سبيل مراكش وتونس إذا لم ندعمه بتحرير الجزائر سيُبقينا منعزلين عن أقطار المشرق والمغرب العربية... ولن نرضى بهذا مطلقاً..»[4]، فقضية استقلال الجزائر–انطلاقًا من هذا المنظور– كانت تمثل حينها ولازالت قضية للمغرب العربي كمجموعة وكأقطار مستقلة، بل هو الضمان الدائم لاستقلال المغرب العربي وحفظ كيانه. ويجدُر بنا أن نتساءل: ما هي العوامل الأساسية الأخرى التي جعلت الجزائريين والتونسيين يشعرون بأنهم من أمة واحدة متميّزون عن أبناء الأمم الأخرى؟.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أ-**وحدة الأصل والمنشأ** :كان الرواد الأوائل لهذا التواصل السياسي والفكري بين التونسيين والجزائريين يجْزمون بأن جميع أفراد القطرين يَكونون بمثابة الأشقاء المنحدرين من صلب أب واحد ولذلك نجدهم يُكررون في مراسلاتهم وصُحفهم وفي كل المناسبات كثيرًا من التعبيرات الدالة على هذا الزعم كقولهم: « أجدادنا،آباؤنا، إخواننا، أشقائنا...» رغم أن هذا الظن لا يستند إلى أي أساس صحيح، فحقائق التاريخ لم تترك مجالاً للشك في أنه لا يوجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد فعلاً، ولا أمة خالصة الدم تمامًا، لكن يرجع جزمهم إذًا إلى أن إمعانهم في الترابط والتواصل ارتقى بهم إلى درجة الأخوّة وكأنهم عائلة واحدة، بمعنى أمة واحدة، «وكذلك اعتقادهم أن المهم في القرابة والنسب ليس رابطة الدم في حد ذاتها بقدر ما هو الاعتقاد بها والنشوء عليها»[5]، ذلك أن الاعتقاد بوحدة الأصل والشعور بالقرابة عمل عملاً هامًا في زيادة روح التضامن والترابط بين الجزائريين والتونسيين، سواءً أكان ذلك موافقًا للحقيقة أم مخالفًا لها فالقرابة بينهما كانت قرابة نفسية معنوية أكثر منها جسمانية ومادية.

ب-**وحدة اللغة والتاريخ والجغرافيا**: فاللغة العربية كانت هي واسطة التفاهم فعلاً عن أنها كانت أداة التفكير والنضال وواسطة لنقل الأفكار وتبادل المكتسبات، وهو ما كان له تأثير عميق على العواطف والمشاعر.. أما التاريخ المشترك فكان بمثابة الشعور بالذات والشخصية المتفردة، فوحدة تاريخهما تولد عنها تقاربًا في العواطف والنزعات مما أدى إلى تماثل في ذكريات المفاخر وفي ذكريات المصائب الماضية وبالتالي أدى إلى تشابه في أماني النهوض وآمال المستقبل[6]، وعندما نقول وحدة التاريخ يجب أن لا نفهم من ذلك الوحدة التامة في جميع أدوار التاريخ بل يجب أن نفهم منها الوحدة النسبية والغالبة التي تتجلى في أهم صفحات التاريخ وإلا لما استطعنا أن نجد أمةً واحدة كانت موحدةً على طول تاريخها توحيدًا تامًا، وعليه فمن الضروري على كل أمة أن تنسى قسمًا من تاريخها لكي تتوحد.

كما أن العناصر الثلاث التي أسست لفكرة المغرب العربي في وعي أبناء شمال إفريقيا مع أوائل القرن العشرين على رأي الأستاذ عابد الجابري[7] وهي: **فكرة الأمة:** والتي تُشكل الجانب الاجتماعي السياسي لعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام، ورد **الفعل الوطني ضد الاستعمار** كإطار مرجعي للمطامح التحررية لهذه النخب، و**هذه المطامح نفسها** (ويقصد تطلعهم إلى إنجاز نهضة عصرية متقدمة)... كلها حددت لحظات تطور الوعي بالوحدة لدى أبناء شمال إفريقيا وهو ما يعني أن الأمر يتعلق بمراحل تاريخية متداخلة من الوعي بالوحدة تتعايش وأحيانًا تتنافس ليس داخل الوعي الجماعي فقط بل حتى داخل الوعي الفردي.

وفيما يتعلق بطبيعة وظروف التكوين التاريخي والجغرافي لفكرة المغرب العربي كتب عبد الله العروي قائلاً: «من أي جهة من العالم عندما نريد أن نتحدث عن تاريخية أي فكرة، أونبتغي تحديدها كمفهوم يجب أولاً أن نتساءل من أين تبتدئ وتنتهي جغرافية الفكرة؟ أهو شمال إفريقيا كما أصطلح على تسميته رجال الجغرافيا وكتب لنا عنه أساقفة السوسيولوجيةالكولونيالية؟ أم هو المغرب

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

العربي الكبير كما عرفته ودعت له الحركات الوطنية؟[8] ومن العسير منهجيًا أن نحصر تعريفًا محددًا للوحدة من منظور هذه النخبة، لكن من الممكن أن نتفهم ما أنتجته تلك التفاعلات السياسية والفكرية من تأثيرات وتغييرات بالمجتمع المغاربي، فهي "تنمو وتتطور" على قاعدة التأخر.[9]

وما يمكن قوله في هذا الباب أن الوحدة كانت في أدبياتهم ومجمل نضالاتهم صيرورة تاريخية طويلة تدحرجت تاريخياً بين وضعيتي التفكك والتجزئة تارة والانصهار والاتحاد السياسي تارة أخرى، فقدمت لنا صوراً راقية من التعاون والتكامل، وبالتالي فالوحدة التي كانت تصبوا إليها هذه النخب العالمة، هي وحدة الكفاح (الخروج من التأخر التاريخي) ثم وحدة التنمية (بلوغ أفق التطور واستيعاب شروط تقدم العصر)، ولهذا نجد أن الأستاذ علي أومليل يذكر: « أن الماضي كان لهم بمثابة المبرر الأساسي لإثبات حقيقة هذه الوحدة، وهو الذي كوّن لدى بلدان المغرب العربي أسس التوحيد هذه: الوحدة اللغوية، الوحدة المذهبية والدينية، إضافة إلى تشابهات أخرى يبحث عنها، أما المستقبل لم يطرح كلية، ليس لأن الحركات الوطنية اعتبرت أفق الاستقلال أفقًا كافيًا في حد ذاته فقط، بل لأنه حصلت قناعة لدى هؤلاء تتمثل في أن الوجود الاستعماري كان السبب في هذه التجزئة، وأنه بزوال الاستعمار ستتحقق وحدة المغرب العربي، لكنه ومع تحقيق الاستقلال وتكوّن هذه الدول، انشغل الكل ببناء دولته ..[ثم] .. شاع فيما بعد أن المعرقل الرئيس لتحقيق وحدة البلدان المغاربية، هو الدولة القطرية نفسها».[10]

وبناءً على كل ما سبق فهناك معطيات موضوعية لوحدة المغرب العربي منها الطبيعية والبشرية والتاريخية والدينية والثقافية ومنها نظم الحكم والقيم

الأخلاقية (العادات والتقاليد)، وهذه العوامل المشتركة أصبحت خصائص حضارية ثابتة، كما أن الفرد المغاربي قد ساهم بدور كبير في هذا المعطى الحضاري للمنطقة[11]، وبمثل الكيفية التي خضع فيها كل المغرب العربي لنظام موحّد في عهد الخلافة الإسلامية أو الفاطميين أو الموحدين، فقد أُخضع أيضاً لنظم سياسية قطرية في فترات تاريخية متقطعة كانت آخرها التي تنازعت فيما بينها على الإرث الموحدي[12].

أما عن الوحدة الجغرافية فإن الفضاء المغاربي متسع جغرافي متصل المفاصل متجانس الخصائص المناخية والسمات الطبيعية ومتكافئ في الموارد ومنابع الرزق، ومتجانس العمران ومتقارب في الملامح البشرية، وهو يُشكل على الضفاف الجنوبية من سواحل الحوض الغربي للبحر المتوسط جبهة عمرانية عريضة في أفق حضاري موصوف يمتد على خطوط المواصلات التجارية، وعلى طريق الترابط الاجتماعي والتفاعل الثقافي بين الشمال والجنوب وبين الغرب والشرق فيكسب بذلك الجبهة المغاربية موقعها هذا عمقًا إفريقيًا إلى جانب امتدادها العربي الإسلامي ومجاورتها لمشارف الغرب الأوربي فينطبع العمران البشري فيها بملامح التجانس والتقارب الثقافي والتمازج الاجتماعي[13]، وأخيرًا فإن عامل الجغرافيا والأرض لم يكن مقومًا مساعدًا على التواصل بقدر ما كانت العلاقات السياسية (سلطة القبيلة)، والعلاقات الدينية (الطريقة الصوفية) هي المقوم الأساسي لهذا التواصل ليضاف إليها عامل آخر أكثر أهمية ألا وهو وحدة العدو الأجنبي الذي يغزو المنطقة.

وقد تصعب الكتابة حين نريد قراءة الخطاب الوحدوي المغاربي لدى الجزائريين، وقد تتعقد أكثر حين نستهدف استجلاء المغرب العربي الموحد ضمن بنايته كخطاب، لكن الثابت أنه على الرغم من حداثته وغموض مضمونه وعدم دقته، فإن الجزائري يحمل عناصر اعتبرت مع التواتر مكونات ثابتة ومنها أن الوحدة لدى الجزائريين ممكنة وضرورية وحتمية[14]، لأنها من صلب الوعي القومي

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ومكوناته ولأنها أيضاً هم مشترك لدى مختلف النخب التي تصدرت الواجهة السياسية والفكرية بالجزائر[15].

وأخيراً، لقد نجحت النّخب التي قادت مسيرة الحركات الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية في أن تستميل المشرق لمعانقة القضية المغربية سياسيًا وإعلاميًا، وتمكنت أيضاً من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك، لخدمة المسألة الوطنية، لكن الذي تعثّرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي، ولا شكّ أن عامل الاستعمار الفرنسي كان من العوامل الطارئة التي زادت في تماسك أهالي المنطقة وفي حتمية الوحدة وضرورة الجهاد والنضال المشتركين، فقد كان أحد غُلاة الاستعمار البرلماني الفرنسي "أوجين أتيين" يقول: « إن الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، إن الجزائر قادتْنا إلى تونس وينبغي أن تقودنا إلى مراكش »[16] وهذا يدل دلالة واضحة على قوة التماسك والترابط بين الأقطار الثلاثة[17].

وفي خضم هذه المعطيات بدأت بوادر الوحدة بين الشبان المغاربة في إطار فكرة الجامعة الإسلامية وبخاصة من طرف الشبان التونسيين والجزائريين، فقد ذكرت إحدى الدراسات[18]، أن علي باش حامبه أجرى اتصالات مع الشبان الجزائريين خلال سنة 1911م من أجل تكوين جبهة مشتركة، ورغم جهلنا للشبان الجزائريين الذي اتصل بهم[19]، ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى أصبحت آمال المثقفين الجزائريين والتونسيين معلّقة على الوفاق بين الدولة العثمانية وألمانيا، ومن هنا تولّدت أفكار ومحاولات وحدوية سواءً على مستوى الساحة المغاربية أو في المهجر لدى النخبة المغاربية، وتزامنت اتجاهات الوحدة في المغرب العربي مع حركة سياسية عالمية ستنشأ في المهجر بأوروبا، وهي جمعية نجم شمال إفريقيا، وكان

الهدف الرئيسي والأساسي لها هو وحدة النضال المغاربي[20]، وبعد سنتين من تأسيس النجمة تكوَّن تنظيم ثاني سمي (بجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين عام 1928م)..؛ إن القراءة المتمعنة لمحاضر أشغال مؤتمرات الجمعية العامة وعلى الأخص مؤتمرها الثاني المنعقد بتاريخ 1935/08/25م، لتؤكّد أهمية الموضوع المركزي الموحد لفصائل هذا التنظيم ألا وهو الحفاظ على الهوية المغربية دينًا ولغة وثقافة وتربية وتعليمًا وأخلاقًا[21].

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1. دورهم في بدايات الحركة الوطنية التونسية (1900- 1919)م

كان نشاط الطلبة الجزائريين السياسي خلال هذه الفترة يتجاوز في غالب الأحيان حدود المؤسسات التي يتعلمون بها ليكتسح الساحة السياسية العامة، ذلك أن تعرضهم لضغوط نظام الحماية ومضايقاته كان يدفعهم إلى توخي الطرق النقابية تارة، وإتّباع أساليب الأحزاب السياسية تارة أخرى، وقد كانت طرق عمل الطلبة الجزائريين خلال هذه الفترة تكتسي صبغة شبه سرية مطلقة حيث كانوا يعملون في إطار نقابي أوثقافي أو ضمن لجان الدفاع عن حقوق الطلبة عموماً، ... بواسطة المناشير والمعلقات والبلاغات... والمقالات المنشورة في الصحف العربية وعن طريق الاجتماعات الليلية المنعقدة في مدارس سكنى الطلبة على وجه الخصوص والاجتماعات العامة والمظاهرات في الشوارع.وكان هذا النشاط داخل الجامع الأعظم وخارجه مرفوقاً حتماً بكل ما يترتب عن ذلك من إجراءات قمع تتراوح بين التوبيخ والرفت من المؤسسة التي ينتظمون فيهاوفي مدارس سكنى الطلبة أوبين السجن والغرامات المالية وحتى الإبعاد إلى الجزائر.

ففي مطلع القرن العشرين كان الطالب الزيتوني ذي الأصل الجزائري «صالح الشريف[22] في كتاباته ومقالاته ورسائله إلى أصدقائه يؤكد على ضرورة الاستلهام من التاريخ العربي الإسلامي في الدفاع عن الأمة والدين بشجاعة وإخلاص وتفان متخذاً من بولونيا مثلاً لأنها لم ترضخ يوماً للهيمنة الروسية – وقال صالح الشريف كلمة "استقلال" لأول مرة سنة 1906م، وأشار في مقال له في جريدة اللواء المصرية بتاريخ (1908/12/31) بإمضاء زيتوني، على أن التونسيين سيُصبحون مرغمين على المطالبة في القريب العاجل باستقلالهم» وهو ما دفع

"بفيكتور دوكرنيار" للرد عليه في جريدة "تونس الفرنسية" "La Tunisie Française"، «..وأخيراً تم إطلاق الكلمة الكبرى..»، «.. Enfin le grand mot est lancé»[23]، وقد جاء في خطاب الشيخ صالح الشريف أثناء الاجتماع التأسيسي للجنة التونسية الجزائرية من أجل الاستقلال أو لجنة استقلال الجزائر وتونس: «لم يتخل الشعب في يوم من الأيام على حريته واستقلاله وروابطه بالخلافة العثمانية.. واليوم حان الوقت ليطالب الشعب بإنصافه ضد مضطهديه وينادي بحقه في الحياة والحرية والاستقلال، والتونسيون والجزائريون الذين يرزحون تحته والمستعدون في أول مناسبة للدفاع عن قضيتهم يطالبون باستقلالهم»[24].

ومن الطلبة الجزائريين بتونس ممن كانت لهم أدواراً سياسية خلال هذه الفترة؛ الشيخ عبد العزيز الثعالبي، الذي كان مقتنعاً بمبادئ الحركة السلفية التي تلقاها من داعيتها في تونس الشيخ المكي بن عزوز الجزائري[25]، الذي «تتلمذ عليه الثعالبي وسار على نهجه في مقاومة الطرقيين، ونشر مبادئ الإصلاح»[26]، وقد وجدت هذه الدعوة صدى كبيراً في الأوساط الزيتونية، وأوساط الشباب المتعلم في فرنسا إذ ذاك، وفي أوائل سنة 1909م انتقل الطالب أحمد توفيق المدني من الكَتَّاب إلى المدرسة القرآنية الأهلية التي يديرها الشيخ محمد صفر، وبعد سنتين أصبح أستاذاً له الشيخ "الشاذلي المورالي"، ثم الشيخ الشاذلي الجزيري، ومنذئذ تشكّلت لديه الميول السياسية والوطنية، ففي أوقات فراغه كان يلتف حوله التلاميذ كما كان شأنه في الكَتَّاب يروي لهم ما اختزنته ذاكرته من أحاديث أبيه وخاله وجده لأمه ، ويستفز هممهم للعمل والثورة في كل الميادين وتقويم الأخلاق والسعي لجمع كلمة المسلمين[27]، والتزم هو والمحيطون به أن يشتري كل واحد منهم صحيفة معينة من صحف تونس أو من صحف ومجلات مصر واسطنبول ثم يقع تداولها بينهم[28]، وفي سنة 1911م عندما هاجمت إيطاليا ليبيا، جمع حوله بعض المتحمسين من أبناء المدرسة فكان يطوف الأسواق ومختلف الحارات، يُحرض على الجهاد، ويتوجه بالقارص من القول إلى رواد المقاهي العربية مُعيراً إياهم بأنهم

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

أصبحوا من القواعد بينما غيرهم يموت في سبيل الله وفي سبيل الوطن، وكان مع أصحابه يجمع النقود القليلة للهلال الأحمر العثماني[29].

وفي معركة الزلاج (1911/11/07)م، كان من بين الذين يطوفون بالأسواق والمقاهي، وينادي بأعلى صوته :"نموت ولا نُسلّم زلاجنا".. ، وتعرّف في هذه الفترة على رجلين كان لهما تأثير على مجرى حياته هما الجزائريان: حسين الجزيري والصادق الرزقي، وفي إحدى اللقاءات بحسين الجزيري أمام دكان علي وغدير عرض عليه حسين الجزيري أن ينظم إلى أسرة **جريدة الفاروق** لعمر بن قدور، حيث كان يراسلها بانتظام أسبوعياً ونشرت له (المدني) جريدة الفاروق في نوفمبر 1914م مقالاً بعنوان: «الإدمان أول وزراء السوء» وهي أول مقالة له في الكتابة الصحفية، ثمنشرت له بعدها نحو خمس مقالات»[30]، ومن بين من برز من الطلبة الجزائريين خلال هذه الفترة أيضاً "البشير الخنقي"، الذي أسس مع عدد من زملائه جمعية تمثيلية اختاروا لها اسم «الجوق التونسي المصري» وكان هو ملقن الفرقة، ويكون بذلك أول ملقن في تاريخ المسرح التونسي[31]، حيث كان من المولعين بالصحافة منذ نعومة أظفاره، حيث كان جدّه مشتركاً في "الرائد التونسي"، وفي جريدة "البصيرة"، بعدها أسّس جريدة لسان الشعب التي صدر العدد الأول منها يوم 1920/12/28م، وقد استمرت إلى سنة 1938م وكان يُطبع منها (10.000 نسخة)، كما كان يُباع منها (1.500 نسخة) بالدار البيضاء المغربية، وكان عضواً في مجلس إدارة "الكوكب التمثيلي في الخمسينيات"[32].

ومن الجدير بالذكر أن الرعيل الأول من رجال الحركة الوطنية ذوي الأصول الجزائرية، قام بدور بارز في نشأة الحركة الطلابية وتطوّرها، ذلك أن حسن قلاتي وعبد العزيز الثعالبي والخضر حسين ورفقاؤهم هم الذين جاؤوا

بفكرة تجميع الطلبة في صلب منظمة خاصة بهم، وذلك منذ تأسيس «حركة الشباب التونسي» وظهور جريدة التونسي في سنة 1907م، ففي أوائل شهر مارس 1910م وجّه الطلبة المتأثرون بالأفكار الإصلاحية للثعالبي عريضة إلى حكومة الحماية يُطالبون فيها بتحسين ظروفهم العامة ومع تماطل الإدارة شنوا إضرابهم الأول يوم 18 أفريل 1910م، ثم أتبعوه بمظاهرة جابوا بها شوارع المدينة العربية متجمهرين أمام دار الباي.. بعد ذلك بيومين زار ثلاثة ممثلين عن حركة الشباب التونسي بما فيهم حسن قلاتي، جامع الزيتونة حيث ألقوا خطباً حماسيةً دامت ساعتين وذلك بمحضر الطلبة وبعض المدرسين[33]، وهو ما ساهم في تواصل حركة الهيجان واتساع نطاقها، مما أدى إلى تطبيق سلطات الحماية لعقوبات صارمة من رفت وسجن وتغريم وإبعاد في حق الكثير من الطلبة بما فيه الطلبة الجزائريين، إلا أن تلك الإجراءات القمعية لم تردع الطلبة الذين ساهموا بأعداد وافرة في حوادث الزلاج (1911م) ومقاطعة الترامواي (1912م).

ومن الأحداث التي زادت في تنشيط العمل السياسي داخل الجامع الأعظم إلقاء القبض على الطالبين الجزائريين أحمد توفيق المدني وحسين الجزيري إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى[34]، واعتقال الشيخ عبد العزيز الثعالبي بُعيد انتهاء الحرب، ونشاط الزيتونيين المناهضين لفرنسا بالمهجر (صالح الشريف، الخضر حسين[35]، إسماعيل الصفايحي[36])، وإنشاء اللجنة المشتركة الجزائرية-التونسية لتحرير المغرب العربي.[37]

إن الأنشطة النضالية الفردية خلال الحرب الأولى لم تتوقف، ففي أوائل سنة 1915م، والحرب على أشُدّها عُلقت مرات عديدة على أبواب الجامع مناشير تتهجم على فرنسا[38]، وعلى إثر عمليات التفتيش التي أُجريت في بيوت بعض الطلبة ألقي القبض فيها على الطالب أحمد توفيق المدني (الذي كان يبلغ من العمر آنذاك 17 سنة) بتهمة ربط أواصر الصداقة مع الشاعر المعتقل الجزائري حسين الجزيري المعروف بنضاله ضد النظام الاستعماري والجدير بالملاحظة أن

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الوثائق التي حُجزت لدى الطالب توفيق المدني كفيلة بأن تعطينا فكرة عن مشاغل الطلبة الزيتونيين أثناء تلك الفترة[39].

وجاء في مذكرات المدني أنه كان إبان الحرب الأولى يخطط مع ثلة من الوطنيين التونسيين وعلى رأسهم الطالب الجزائري الصادق الرزقي، لطرد الفرنسيين من تونس ودعم الألمان في حال دخولهم العاصمة الفرنسية، ومن بين الاحتمالات الموضوعة هو الاعتماد على الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة قائلاً: «بجامع الزيتونة عدد لا يُستهان به من الطلبة الجزائريين من جهات تبسة، وعين البيضاء، وقسنطينة وغيرها، ومنهم طائفة مؤمنة وطيّبة مستعدة للجهاد حسب تقديرنا، فإذا وصلت الحالة إلى هذا الحد أرسلنا بهم أو أرسلنا بأكثرهم إلى تبسة وجنوبها لاستنفار الناس وإعلان الثورة والانتفاض ومحاربة من يليهم من الفرنسيين...»[40]، وبعد اطلاعنا على ملفات عدد من الزيتونيين الجزائريين ضمن سلسلة المشبوه فيهم بالأرشيف الوطني التونسي، أمثال حسين الجزيري[41]، وأحمد توفيق المدني[42]، المكي بن عزوز[43]، والخضر حسين[44]، إضافة إلى مسحنا للملفات الموجودة ضمن سلسلة الحركة الوطنية المتعلقة بنشاط الطلبة الزيتونيين في بداية الحرب العالمية الأولى مكّنَنا من الوقوف على كامل تفاصيل قضية المدني والجزيري خلال الحرب خارج ما كتبه المدني في مذكراته.

وفي مرحلة ثانية قبل توقيفه بادر المدني-حسب روايته-بالاتصال بقبائل الجنوب من أجل الانتفاضة، «ولتنفيذ ذلك، أشاع المدني في عائلته، وفي الأوساط الزيتونية أنه قرّر اعتزال الدراسة والانشغال بتجارة التمر، وبالفعل أمكَنه على حد قوله، بعد مراسلة المدعو علي فارس -أحد وجهاء بني زيد- من التحول إلى قابس والالتقاء بعلي المذكور لمناقشة التفاصيل العملية للخطة ليعود المدني

بعدها إلى العاصمة يوم 07 أو 08 جانفي 1915م ويُطلع بقية زملائه على ما تم الاتفاق عليه، وعلى إثر ذلك تقرّر توجيه كل من محمد النيفر وأحمد نجاح إلى قفصه لحثّ أهاليها على الانتفاضة والانضمام إلى ثورة عارمة تهزّ كامل أرجاء الجنوب، ولكن في الوقت الذي كان فيه المذكوران يتهيآن للتوجه إلى قفصه تم اعتقال أحمد توفيق المدني»[45].

إن الغريب في هذه الرواية هو أنها لا تتقاطع في شيء مع الوثائق المحفوظة في الأرشيف الوطني التونسي أو مركز التوثيق القومي التونسي أو أرشيف المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسي أو حتى الأرشيف الوطني الجزائري في حدود ما اطلعنا عليه والتي أمكننا من خلالها إعادة الأحداث، إذ لا تشير إلى أي شخص من الأشخاص الستة (06) الذين ذكرهم هو نفسه! رغم أنه أمعن في تفاصيل رحلته إلى قابس نجده يُمعن في الطريقة التي تسوَّق بها في سوق التمور حتى لا يجلب الأنظار، لكنه ضرب صفحاً عن ذكر ما تم الاتفاق عليه!! ثم إن وفاة كل الضالعين في هذه القضية، قبل أن ينفرد المدني بذكرها، يرجح عدم صحة الرواية أصلاً -ذلك أنه لم يكشف عن ذلك باعترافه هو نفسه- إلا بعد وفاة كل أولئك الذين زجّوا معه في ذلك العمل الثوري!! «.. ولا يسعُني بعد مضي الزمن وتغير الأحوال إلا .. أن أضع على ضريحهما الطاهرين (يقصد محمد النيفر وأحمد نجاح...) أكاليل من زهور العزة والشرف... فهذه أمور لا يعرفها أحد.. فكل الذين شاركوا فيها قد فارقوا هذه الحياة الدنيا..»[46]، وهو الأمر الذي يستحيل معه التثبت من صحة ما أورد!! خصوصاً وأن وثائق الأرشيف لا تذْكُر شيئاً مما جاء في روايته المذكورة.

كما أن المقال الذي ذكر المدني أنه نشره بجريدة الفاروق والذي أوقد في الأوساط التونسية شعلة رجاء وأمل..!! «وجعل الباعة يُبرقون إلى عمر بن قدور صاحب جريدة الفاروق يطلبون إليه إرسال ما عنده من أعداد لذلك الأسبوع فبعث إليهم بكل ما لديه، لكن ذلك لم يكن كافياً، فكان العدد الواحد ينتقل من يد إلى أيادي عديدة..»[47] لا وجود له أصلا إلا في مفكرة المدني، ذلك أن كل أعداد

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الفاروق لشهري نوفمبر وديسمبر 1914م، وهي الفترة التي زعم أنه نشر بها تضمنت عدداً من الأدباء التونسيين إلا المدني !

لا يمكن فصل إيقاف أحمد توفيق المدني بن محمد عن نفس المصير الذي لقيه حسين الجزيري البالغ آنذاك من العمر اثنين وعشرين سنة، ذلك أن ما جاء في رسالة هذا الأخير إلى الأول تضمّنت بالنسبة إلى سلطات الاحتلال "كلامًا مخرّبًا"، على الفكر المستنير لذلك الشاب الذي رأى فيه الجزيري "عبقرياً يدعو إلى القيام بمهام كبيرة لفائدة بلاده"، ونظراً لما عُرف به الجزيري من مناهضة لفرنسا، وتبعاً للمعلومات السيئة التي تم تجميعها حوله، إضافة إلى ما ورد في رسالته المشار إليها، بادرت إدارة الاحتلال يوم 07 مارس 1915م إلى إيقافه وتفتيش محل سكنه الكائن آنذاك بنهج الحقيقة -زنقة سليمان عدد 03- والزّج به هو الآخر في السجن الجديد في نفس اليوم !(وهو ما لم يذكره المدني في مذكراته إطلاقاً ؟!!) بتهمة مناهضة الاستعمار حيث عدّته أحد أقطاب تحرّكات الطلبة الزيتونيين سنة 1910م، وهو دور كلّفه فصلُه عن جامع الزيتونة، فلقد عثر ضمن أوراقه على بيتان من الشعر يحملان إمضائه ورد فيهما قوله:

أَقْسمْتُ أنْ لَوْ يُنَادي المَرءُ منْ حَدَث مَيّتـــــاً لأَسْمعتُـــهُ مَا قالَ كَلمُ

وَلَوْ قَضَى العُمرَ يَكْوي التُّـــونسي لم أَحُسَّ شَيْئًا منَ الإحْراق والأَلمُ[48]

إن عداوة حسين الجزيري للاستعمار، وتمنيه لزواله جعله محل اتهام بنظم قصيدة (ملزومة) بعنوان "سقوط باريس" يعود تاريخها إلى (1914/08/10)م، وتتعلق أحداثها بالحرب الإيطالية الطرابلسية، ولكن سلطة

الاحتلال اعتبرتها تُلمح إلى أحداث الحرب العالمية الأولى، وأما التهمة الثانية فهي ولاؤه لتركيا شأنه شأن توفيق المدني، وهي ميولات كانت -على ما يبدو- معلومة عنه[49]، وخلاصة القول أن حسين الجزيري الذي تم اعتقاله يوم 07 مارس 1915م، بقي رهن الاعتقال على ذمة السلطات العسكرية ولم يُعف عنه، رغم تعدد رسائله، ولم يطلق سراحه شأنه في ذلك شأن أحمد توفيق المدني، إلا في أكتوبر 1918م بأمر من "الجنرال أليكس" قائد جيش الاحتلال الفرنسي بالبلاد التونسية، شريطة أن لا يغادر تونس[50].

كما شهدت فترة الحرب العالمية الأولى إسهامات عديدة لطلبة جزائريين آخرين بتونس كان لهم الفضل في انبعاث العمل السياسي والصحفي والثقافي بتونس، منهم مثلاً: الطالب "محمد خير الدين" الذي «شهد العام الأول من [إقامته] بتونس انبعاث حركة سياسية قوية عمّت أرجاء البلاد،... وفي خضم هذه المشاعر المتأجّجة قامت مظاهرتان ....وقد شاركتُ في كلا المظاهرتين مع بعض الطلاب الجزائريين، وفي المظاهرة الثانية التي كان سببها التدخل السافر من الاستعمار في شؤون الباي (محمد الناصر)..، وكان من جملة الخطباء في ذلك اليوم الشيخ "عبد الرحمان اليعلاوي الزيتوني الجزائري"...»[51].

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

2. دورهم في الحزب الحر الدستوري التونسي (1920 - 1939)م

تميّزت المرحلة التي تلي نهاية الحرب الأولى بسرعة الأحداث، وهو أمر يمثّل منعرجاً في تاريخ العمل الوطني التونسي مع ما تبع ذلك من أعمال قمع من لدن الإدارة الاستعمارية: ذلك أن الطلبة الجزائريين قد برزوا خلال هذه المرحلة بأعمالهم الواسعة النطاق وأنشطتهم المتواصلة والمثيرة للانتباه، وأضحو يمثلون عنصراً كامل الحقوق ضمن الحركة الوطنية التونسية، ويعود تزايد الممارسة السياسية للطلبة الجزائريين في مرحلة الثلاثينيات من القرن العشرين خصوصاً دون غيرها إلى عدة أسباب لعل أهمها تزايد عدد الجزائريين في المراكز التعليمية التونسية بدءًا بجامع الزيتونة وانتهاءً بالمعاهد الرسمية، وبروز جيل جزائري شاب كانوا أكثر فاعلية على منوال: الجباري، اليعلاوي، الشاذلي المكي، صلاح الدين بوشوشة،...بالإضافة إلى ظهور زخم سياسي كبير بانشقاق الحزب الدستوري إلى شقين، وظهور زعامات وطنية واعية بالعمل السياسي، وانتعاش الممارسة السياسية خصوصاً بعد عودة الثعالبي من المشرق عام 1937م.كما أن ظهور عدة تشكيلات سياسية وتربوية وإصلاحية في الجزائر شكّل دعماً لوجيستياً لهؤلاء الطلبة في عملهم السياسي، بالإضافة إلى حدوث تغيّرات عالمية وإقليمية ...كل ذلك كان له إنعكاس إيجابي على الساحة التونسية.

وبما أن الظروف الخاصة بالطلبة الجزائريين بتونس لم تكن تسمح لهم بأي عمل سياسي مباشر فإنهم فكروا في الالتحام بالأحزاب الوطنية التونسية وقرروا الانضواء تحت لوائها وإكسابها بذلك طابعاً مغاربياً أو بالأحرى طابعاً

تونسياً-جزائرياً بهدف التصدي لخطط المستعمر، وتطبيقاً لهذه الخطة أقبل عدد من الطلبة الجزائريين على الانخراط في الحزب الحر الدستوري منذ تأسيسه في شهر ماي 1920م، وانبثقت عن مؤتمراته الأولى لجان تنفيذية تضم في عضويتها عدد من الطلاب الجزائريين إلى جانب الوطنيين التونسيين، ثم توالى تدعيم الحزب في سائر مؤتمراته ولقاءاته المتعاقبة بالعناصر الجزائرية سواء منها من كان جزائري المولد والمنشأ والجنسية أو من كان ذا أصول جزائرية قريبة العهد استوطن آباؤه تونس أثناء الهجرات الناجمة عن دخول الاستعمار إلى الجزائر[52]، وإزاء هذه الحركة التي التفّت حول الحزب الدستوري التونسي، وتسرّبت إلى أجهزته التنفيذية لتباشر المقاومة السياسية.. تتابع ظهور التيار الصحفي الفكري البحت الذي يساير بدوره هذه الحركة الحزبية، ويتمحور حولها أو يتجاوب مع أهمّ خطوطها ويساندها بمقالاته الأدبية والفكرية.

فالثعالبي لم يغادر تونس إلى باريس طامعاً في العودة إلى تونس بتقرير المصير من مؤتمر الصلح وإنما حلّ بالعاصمة الفرنسية كما أوضح ذلك لزميله المحامي حسن قلاتي[53] لينتهز الفرصة على حد تعبيره «ولعرض أوضاعنا ومطالبنا على الساسة الفرنسيين»[54]، ومن خلال إقامته بباريس ألّف الثعالبي كتابه الذي عنونه "بتونس الشهيدة"، وترجمه إلى الفرنسية "أحمد السقا"، وكانت نيته إيصاله عن طريق البريد لوزراء ونواب وموظفين فرنسيين كما أوصل نُسخاً منه إلى تونس والجزائر.[55]

إن إعلان جماعة «الحزب التونسي» سنة 1920م عن تأسيس الحزب الحر الدستوري قد أبعد عمل الثعالبي من أن يكون عملاً عارضاً، إذْ أحرز هذا الحزب بعد الإعلان عنه على ريادة الحركة الوطنية وحقق قفزة نوعية في مجال التنظيم الحزبي إلى غاية سنة 1933، وبناءً على القانون الأساسي للحزب أجمع الحاضرون على منح رئاسة الحزب لعبد العزيز الثعالبي غيابياً ووقع انتخاب اللجنة التنفيذية الأولى وكان من بينهم الجزائريان: أحمد توفيق المدني، وحسن قلاتي الذي امتنع عن أداء اليمين الدستورية[56]، ثم كان أعضاء الحزب على ميعاد

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

يوم (1921/05/29م)، بدار الشيخ حموده المنستيري تحت رئاسة الشيخ الثعالبي، وأعيد انتخاب اللجنة التنفيذية، حيث اختير أحمد توفيق المدني أميناً عاماً مساعداً للقلم العربي... كما اختير الطلبة الجزائريون صالح بن يحي والطيب بن عيسى وإبراهيم أطفيش كأعضاء في اللجنة التنفيذية...[57]

كما كان الشيخ الحاج بكير العنق (1868- 1934)م على صلة وثيقة بالشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس، حيث كان هذا الأخير يغدو إلى دار البعثة الميزابية التي يرأسها الشيخ أبو اليقظان إلى دار البعثة الأخرى التي يرأسها الشيخ إبراهيم أطفيش والشيخ محمد الثميني فيجلس فيها إلى الليل.. وكان يقرأ الصحف ويملي مقالاته هناك على بعض الطلبة الميزابيين، وكان يستريح وينتعش في جو البعثة الميزابية لما يجد فيها من دين واستقامة ونشاط[58]، ونحن نجد لهذا النضال المغاربي صدى في المراسلات السرية بين كبار موظفي الإدارتين الاستعماريتين الفرنسيتين لتونس والجزائر، فقد أفاد قائد جيش الاحتلال بتونس في إحدى رسائله السرية إلى وكيل الإقامة العامة بتونس بتاريخ 17 ديسمبر 1920م، أن الشيخ صالح بن يحي كتب عدة مرات إلى الشيخ الثعالبي عندما كان بباريس يطلب منه الاهتمام بقضية ميزاب والميزابيين الذين يعانون من استبداد المكاتب العربية والمسؤولين الأهليين، وأن محمد صالح بن جمال التاجر في قسنطينة كتب بدوره إلى الشيخ الثعالبي يطلب منه استعمال نفوذه في باريس لفائدة الوفد الجزائري الذي يُعدّ من بين أعضائه الأمير خالد، كما وجّه إليه قائمة بالشخصيات التي يحب أن يوجّه إليها نسخاً من كتاب تونس الشهيدة[59]، وقد طلب الحاكم العام الفرنسي للجزائر من المقيم العام الفرنسي بتونس في رسالة بتاريخ 16 فيفري 1921م أن يراقب كل المراسلات الموجهة إلى الجزائريين: عمر بن قدور، ومحمد

صالح بن جمال التاجر بقسنطينة، وكذلك كل المراسلات الموجهة من قبل الجزائريين إلى تونسيين مشتبه بهم ومتورطين بشكل أو بآخر في قضية الشيخين عبد العزيز الثعالبي وصالح بن يحي[60]، كما نجد في الوثائق الفرنسية الرسمية رسالة عاجلة وردت في 04 أفريل 1921م بشأن الجزائري محمد بن بكير التاجر الميزابي بخنشلة، الذي كان يلتقي خلال أسفاره بشبان دستوريين تونسيين، ومنهم الجزائري الطيب بن محمد بن عيسى مدير "الوزير" ... و[كذا] محمد بن مصطفى عباس الملاك الجزائري والمتطوع بالجامع الأعظم، وأخيه الهادي بن مصطفى عباس، والشيخ صالح بن يحي الذي كان آنئذ في حالة سراح وقتي، وإبراهيم بن محمد بن الحاج إبراهيم أطفيش الطالب بالجامع الأعظم.[61]

إن الحزب الحر الدستوري الذي أسّسه الجزائري الشيخ عبد العزيز الثعالبي وأنصاره في منتصف شهر فيفري 1920م بعد إخفاق حركة ويلْسُن، كان من مؤسسيه الأوائل ومن مؤيديه الطلبة الجزائريين بتونس، فلولا فضل جهودهم ونشاطهم السياسي لما استطاع أن يحيا طويلاً أو ينال منالاً في مطامحه السياسية والتحررية وذلك بتصريح الشيخ الثعالبي في كثير من المناسبات، من أبرزهم الشيخ صالح بن يحي الذي درس بالزيتونة وكان يشتغل بالتجارة في تونس وفيها جاهد وفيها توفي سنة 1948م، وبدايته في العمل السياسي بتونس سبقت انخراطه بالجامع الأعظم حيث كان يقوم بالدعاية إلى تأسيس حزب بعد حزب تونس الفتاة المؤسس في سنة 1908م وحلّته فرنسا في حوادث 1911م[62]، والشيخ صالح من المؤسسين الأوائل ومن الأعضاء الإداريين في الحزب الحر الدستوري حيث كان عضواً في لجنة الدعاية وعضواً في لجان المالية وعضواً في الوفد وهو لا يزال طالباً بالجامع... فكان يجمع التبرعات والاشتراكات من تجار ميزاب لخزينة الحزب، كما كان يمد الشيخ الثعالبي بالمال من كيسه الخاص في آخر كل شهر بما يستعين به في جهاده السياسي التحرري، حتى أنفق كلّ كسبه في تجارته في سبيل الحزب ومات فقيراً رحمه الله[63].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وعنه قال الشيخ عثمان الكعّاك: «كانت دار الشيخ صالح في سوق اللفة وفي رادس في تونس نادي إدارة حزب الدستور والمراقبة بشدة من جواسيس الاستعمار»[64]، لقد كان الشيخ صالح عُمدة كبرى في جهاد تونس الذي نالت به استقلالها.. ولولاه لتعثّرت خُطى الشيخ الثعالبي وانطفأت جَذْوة حزب الدستور القديم، ولَكان لتونس اتجاه آخر يضرّها، ومن أمثاله: الشيخ محمد بن الحاج صالح الثميني، والشيخ قاسم بن الحاج عيسى.. اللذيْن يملكان مكتبة الاستقامة في تونس[65]

كما كان الطلبة الجزائريون يُسهمون بقسط مهم في الدعاية للحزب الدستوري، وبقسط أهم من مصادر تمويله، ومن ذلك نذكر أنه في عام 1922م كان الجزائري يحي بن الحاج إبراهيم بن عيسى القراري يدرس بجامع الزيتونة منذ ثلاث سنوات، ويحرس صغار التلاميذ الميزابيين في "مدرسة السلام" بتونس، وله صلات مع الشيخ صالح بن يحي ويتعاون معه في شؤون الحزب الدستوري، كما كان إبراهيم أطفيش بن الحاج إبراهيم يدرس بدوره بجامع الزيتونة منذ حوالي عشر سنوات في تونس، وتصفُه مصالح الاستخبارات الفرنسية بأنه معروف باعتباره مساعداً نشيطاً للشيخ صالح بن يحي الذي يكلّفه بالدعاية الدستورية في أوساط الوطنيين الجزائريين[66]؛ وقد وجّه المقيم العام في تونس رسالة إلى الحاكم العام في الجزائر بتاريخ 14 جوان 1921م يحذّره من أن اجتماعاً قد انعقد مؤخراً في منزل الشيخ صالح بن يحي برئاسة الشيخ الثعالبي، من أجل البحث في الوسائل التي تزيد في العائد الضعيف آنئذ للاكتتابات المخصصة لتمويل خزينة الحزب، وأنه تقرر التوجه بنداء لكرم الجزائريين، بحيث سيُنظم ابن يحي حملة دعائية نشيطة لتذكير الجزائريين بمصلحة كل مسلمي شمال إفريقيا في دعم قضية

الوطنيين، وسيكتب لمواطنيه الميزابيين الأكثر ثراءً والأكثر تأثيراً، وهو يخص بالذكر منهم: ابن زملال باها أحمد بن داوود، التاجر والمستشار البلدي في قالمة، وأخاه ابن زملال الحاج بكير بن داوود، التاجر في قالمة، الذي قدم إلى تونس في عام 1919م، وزار الشيخ الثعالبي، في حلق الوادي حيث سكناه، رفقة الشيخ ابن يحي وقدّم للشيخ الثعالبي قبيل سفره إلى فرنسا عائد اكتتاب جرى بين الميزابيين في الجزائر وأسهم فيه هو شخصياً بمبلغ مهم، وكذلك كل من بالي زكري بن عمر التاجر في قالمة، وبالي الحاج صالح بن محمد التاجر والمستشار البلدي السابق بها، وزكري بن سعيد صاحب دخل في ميزاب، وبوراس محمد التاجر في قالمة أيضاً»[67].

ومن رواد النضال الطلابي السياسي بتونس أيضاً الطالب أبو اليقظان (الحاج عيسى بن يحي) فقد كان هو شاعر الحزب والداعية له، وأتُّهم من السلطات الفرنسية بجمع الأموال في الجزائر، ومعلوم أن أبو اليقظان كان ضمن أول بعثة طلابية ميزابية إلى تونس سنة 1914م، وعلاقته بالثعالبي كانت منذ أيام التتلمذ بالجامع الأعظم حيث سبقت تأسيس حزب الدستور بسنوات[68]، وله أكثر من قصيدة في الحزب الحر الدستوري منها قصيدتان (الدستور، وجسر المجد والعظمة)، هذه الأخيرة التي حيّا فيها الثعالبي بعد خروجه من السجن في شهر ماي 1931م[69]

وبمناسبة إطلاق الثعالبي من السجن بعد قيامه بحملته لتقديم القضية الوطنية للرأي العام الفرنسي وترويج كتابه (تونس الشهيدة)، أنشد أمام رئيس الحزب قصيدته التي مطلعها:

تبسَّمَ ثَغْرُ الكَون واسْتَبْشرَ الدَّهرُ وتَاهَ الزَّمانُ الغَضُّ بَلْ ضَحكَ العَصْرُ[70]

كما كان إبراهيم أطفيش من أقرب المقرّبين من أبناء (وادي ميزاب) إلى الشيخ الثعالبي، فقد كانا صديقيْ السرّاء والضرّاء في نضالهما الدستوري في تونس وغُربتهما الطويلة في المشرق. وكان إبراهيم أطفيش أصغر عضو في اللجنة التنفيذية للحزب[71] كما كان موفَد الحزب في المهمّات الصعبة إلى الجزائر لجمع الأموال، أو محاولة توحيد الحركة الوطنية بين الثعالبي والأمير خالد، وكان أول

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

المبعدين من الدستوريين سنة 1923م، ودامت الصحافة التونسية شهوراً عدة تخوض في قضية إبعاده، وبه دشّن «لوسيان سان» سلسلة الإبعاد التي توالت بعد ذلك[72]، ومن الطلبة الجزائريين الناشطين في الحزب الدستوري التونسي أيضاً نجد عبد الرحمان اليعلاوي الذي كان ممثلاً للحزب في سوق الأربعاء، ومن المتحدّين للسلطة في تونس ومن المتصدرين للمظاهرات الوطنية، حيث كانت له مواقف مشهودة ضد قضية التجنيس أين وُضع تحت مراقبة سلطات الأمن في سنة 1921م إلى أن تمّ نفيه إلى عنابة في (1925/12/06م).

لقد كان اليعلاوي عضواً بارزاً في الحزب، حيث كان يقوم باتصالات في كل أنحاء تونس لجلب المنخرطين والاجتماع بهم وتحريضهم على الثورة ضد الأوضاع الاجتماعية والسياسية...[73] وتميّز نضاله السياسي بالعناد وصلابة الموقف مما جعله يُسجن ثلاث مرات، ويكفي أن قرار إبعاده جاء بتهمة المشاركة المباشرة في المظاهرة التي نُظمت بمناسبة نصب السلطة لتمثال الكاردينال لافيجري في إحدى ساحات العاصمة[74]، ومن مواقفه تجاه الانشقاق الذي حدث بين الدستوريين والإصلاحيين، أنه قام بفضح ممارسات زعماء حزب الإصلاحيين[75].

لقد كانت النخبة الجزائرية ومن الطلبة خصوصاً تُتابع الأحداث عن كثب وتستجيب إلى نداءات الحزب الدستوري، ففي ديسمبر 1928م شاركو في مظاهرات قام بها تلامذة جامع الزيتونة، وكان سببها قرار سلطة الحماية القاضي بتغيير كيفية الارتقاء إلى مسؤولية الكاتب الشرعي بتونس، فتوقّفوا تضامناً مع تلامذة الجامع عن الدراسة، وانتشرت العدوى في الأوساط الشعبية وتمادت سلطة الحماية في تعسّفها وأغلقت جامع الزيتونة لكونه منبع الاحتجاجات والهيجان، واعتباراً من سنة 1933م صار قسم كبير من الطلبة الجزائريين يُساهم أكثر فأكثر

في الحوادث السياسية بل حتى في الحركة المطلبية الطلابية، ففي سنة 1935م مثلاً وجّهت إدارة الجامع الأعظم توبيخاً إلى عدة طلبة جزائريين بسبب مساندتهم لنظرائهم التونسيين أثناء الإضراب الذي تمّ خلال شهر ماي من تلك السنة، وخلال السنتين المواليتين سلّطت الإدارة عقوبات تأديبية على عدد من الطلاب الجزائريين، ففي سنة 1936م تم إجلاء ومعاقبة أزيد من 20 طالبًا[76]، وفي سنة 1937م عوقب ثلاثة جزائريين بتهمة (تكوين لجان طلابية، والتحريض على الإضراب عن الدروس، وإثارة الشغب)، وتراوحت العقوبة بين الرفت من الجامع الأعظم ومدارس سكنى الطلبة وبين الإقامة الجبرية والمراقبة الإدارية.

ومن جملة الأنشطة السياسية التي حضرها الطلبة الجزائريون تلك الاجتماعات الدورية التنسيقية التي كانت تُعقد بين الأحزاب الثلاثة لتبادل الآراء وتنسيق وتوحيد الصفوف لتحرير المغرب العربي.. كتظاهرة سينما العالمية التي حضرها الشيخ ابن باديس (جويلية 1937م)، والتي ألقى فيها مفدي زكريا (ممثلاً عن مصالي الحاج) كلمة حول فكرة الاستقلال لتونس ولكامل الشمال الأفريقي، كما ساهم فيها عدد من الطلبة الجزائريين الزيتونيين بقصائد وخطب في القومية والوحدة المغاربية[77].

وما أن انبعث الحزب الدستوري الجديد في 02 مارس 1934م، وانفصل عن اللجنة التنفيذية التي أصبحت تُعرف باسم الحزب الدستوري القديم حتى أقبل عدد من الطلبة الجزائريين على الالتحاق به، نذكر من بينهم الصحفي الطيب بن عيسى صاحب جريدة الوزير، وقد انتخب عضواً في المجلس المحلي، أثناء مؤتمر الحزب الدستوري الجديد المنعقد بتونس في سنة 1937م، كما برز في صفوف هذا الحزب الشاعر الثوري الزيتوني محمد العيد الجباري (1911-1942)م، الذي ساهم بمقالاته وقصائده في جريدة الحزب (العمل)، وعُيّن على رأس "الشبيبة الدستورية" في سنة 1936م، كما أسس «جمعية شباب شمال إفريقيا» وقد أُودع في السجن عدة مرات[78].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وفي سنة 1939م، تم إبعاده إلى الجزائر للمرة الثانية (الأولى كانت سنة 1936م) بدعوى أنه من أصل جزائري بتهمة المشاركة في أعمال الشغب[79]، فمحمد العيد كان أول المنضمين إلى أسرة تحرير جريدة الدستوري الجديد (العمل) في سنة 1934م، وكان شاعر الحزب الجديد بدون منازع، ومن المعلوم أنه له فيضاً غزيراً من الأشعار الوطنية التي نشر بعضها بجريدة (العمل)، وكتب بعضها الآخر في المنافي والسجون المختلفة التي تردد عليها[80]، كما أدى الجزائري حسن النوري دوراً كبيراً في إنجاح مؤتمر قصر هلال، وكان أحد النواب الستة الذين مثّلوا شعبة بنزرت، زيادة على جزائري آخر هو الطيب بن قائد حسين[81]، ونظراً للحماس الذي أظهره لحظة التأسيس في قصر هلال، زار الحبيب بورقيبة مدينة بنزرت مرتين، أين أسس فيها أول شعبة للحزب حيث انتخب حسن النوري فيها للكتابة العامة، لتصبح بنزرت في عهده قلعة من القلاع الحصينة للحركة الدستورية[82].

ومن بين الطلبة الجزائريين الذين ناضلوا في صفوف الحزب الجديد نذكر أيضاً الشاعر الموهوب والأديب الملتزم، "محمد العربي" (1917- 1946)م، الذي يُعد من أبرز جماعة «تحت السور»، فقد غادر جامع الزيتونة قبل إتمام دراسته، وساهم في تحرير عدة صحف تونسية من بينها "الزمان" و"السرور"، و"الوطن"، و"العالم الأدبي" ثم تولى رئاسة تحرير الصحيفة الهزلية الموالية للحزب الدستوري الجديد "صبرة" التي صدر عددها الأول في (04/21 /1937م)، وقد تعطلت إثر حوادث (1938/04/09)م مثل جميع الصحف الدستورية، وألقي القبض على رئيس تحريرها محمد العربي الذي قضى في السجن سبعة أشهر[83]، وعندما كان الطالب محمد الأخضر السائحي يُزاول دراسته بالجامع الأعظم خلال الفترة (1935- 1940)م، وقعت في 09 أفريل 1939م مظاهرات صاخبة ضد محاكمة

القائد التونسي (علي البلهوان) أحد زعماء الحزب الدستوري الجديد، حيث أطلقت فيها السلطات الاستعمارية النار على المتظاهرين، فإذا به يندمج في جموع المتظاهرين ويبدأ يؤجج الحماس في المتظاهرين ويصرخ فيهم مستنكراً فما كان من أصدقائه إلا أن انتشلوه من بين الجموع ونصحوه بمغادرة تونس في نفس اليوم إلى الجزائر إيهاماً للسلطات بأنّه لم يحضر المظاهرات حتى لا يُلقى عليه القبض[84]، وكان قبلها في شهر فيفري 1938م قد ساند كفاح التونسيين عقب أحداث بنزرت منددا بمن أسماهم بأعداء العدالة موجهاً النصيحة إلى هؤلاء بأن لا يغترّوا بصمت الشعوب، فوراء هذا الصمت ثورة متأججة وضرام وشيك الاندلاع[85].

إن هذه الصلات الزاخرة بين الحركة الوطنية التونسية وبين الطلبة الجزائريين عملت دونما شك على وصل الكفاحين، وأطلعت الشعبين هنا وهناك على مدى اللحمة القائمة والموصولة بين النضالين وأحدثت قنوات متعددة وعميقة للاتصال بين أحزاب القطرين وبين الصحف الوطنية وبين الحركات الإصلاحية وبين المعاهد العلمية، فلم تكن الرسالة العلمية التي هي السبب الأول للتغرب لتخفف من إدراك الطالب خطورة الرسالة الوطنية التي تتجاوب مع مبادئه وغاياته البعيدة، وقد يكون الكبت السياسي الذي يلقاه الطالب الجزائري في بلاده باعثاً على المواقف الحيوية الجريئة التي يجمع بها في المحافل السياسية في تونس حتى يعطي لتغرّبه مظهراً وطنياً وسياسياً أكثر منه علمياً ويكسب صورة من الازدواج المتلاحم بين حلقة درس في جامع الزيتونة ومنبر خطابه في أحد النوادي[86].

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 21 العدد01 السنة 2020 ص ص 382-428
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

3. دورهم النضالي والثوري أثناء الحرب العالمية الثانية:

لقد سعت قوات المحور إلى استمالة حركات التحرر الوطني في المستعمرات إلى صفها منذ سنة 1936م، ومن بينها الحركة الطالبية الجزائرية بتونس، وازدادت رغبة المحور في المراهنة على الطلبة إثر مواصلة فرنسا لسياستها القمعية التي سلكتها أواخر عقد الثلاثينيات، سواء في تونس أو في الجزائر ولكل هذه المعطيات استوجب على القوى السياسية والنخبة المثقفة، ولاسيما الطلبة الدارسين بتونس لثقل حضورهم في هياكل الأحزاب الوطنية، والجمعيات التربوية والإصلاحية، اتخاذ موقف واضح من هذا النزاع الكوني... وما يمكن التذكير به هو أن جل الطلبة الجزائريين بتونس باستثناء الطلبة المتورطين مع جماعة "الكارنا" كانوا ضد توتر العلاقات الدولية، حيث عبّر العديد منهم في مناسبات عديدة عن معارضتهم لسياسة النظامين الفاشي والنازي التوسعية وأملهم في أن يسود السلم كامل أنحاء العالم..

كما تجدر الإشارة إلى أن بعض الطلبة الجزائريين من بينهم صلاح الدين بوشوشة قد انخرطوا منذ سنة 1935م باللجنة الوطنية للشباب المناهض للحرب وللفاشية وتابعوا أعمالها بانتظام؛ وللعلم أيضاً فإن صلاح الدين بوشوشة قد تداول خلال فترة الحرب على قيادة الحزب الدستوري الجديد وعلى قيادة حركة المقاومة عند اعتقال زعماء الحزب[87]، وبالمقابل هناك طلبة جزائريون انقادوا وراء الدعاية الألمانية خلال الحرب من بينهم الطالب الطاهر بن عيشة، الذي التحق بالجامع الأعظم في خريف 1942م، ويقول بن عيشة في هذا الصدد: «إن الصدف شاءت أن أتلقى أول درس في الوطنية من الجيش النازي..»، كان هذا اللقاء مدخلاً

لتعاون الطالب بن عيشة مع النازية التي فتحت أمامه كذلك عالم الإذاعة! فقد وضع الجيش الألماني في متناوله جهازاً للبث، يتصرف فيه هو وزملائه الطلبة بكامل الحرية مدة ساعة في اليوم[88]، كما يروي الشيخ حماني أحمد عن نشاطه السياسي في فترة الحرب العالمية الثانية مع بعض التونسيين والجزائريين قائلاً:« اشتدت أواصر العلاقة بيني وبين أستاذي الشيخ الشاذلي النيفر عند نزول الألمان والاتصال معهم سنة (1942- 1943)م وكانت مغامرة عظيمة مع الألمان لم تنجح، ولو انتصر الألمان لنفعت»[89].

والشيء الجديد الملاحظ على صعيد جامع الزيتونة خلال هذه الفترة هو تشكل لجنة مختلطة بين الزيتونيين والصادقيين انضمت إليها أواخر سنة 1944م جمعية قدماء المدرسة الصادقية وجمعية الشبان المسلمين.. وكانت تلك اللجنة تضم طالباً جزائرياً وحيداً هو الطالب عبد الله شريط في منصب أمين مال، وقد ترأس هذه اللجنة أحمد بن صالح (تلميذ في الصادقية)[90].. ومن الواضح أن هذه الحركة الطلابية المركبة كانت تدور في فلك الحزب الدستوري الجديد والحركة المنصفية.

وهكذا يمكن القول أنه رغم الدعاية والمساعي الألمانية والإيطالية في كل من تونس والجزائر قبيل الحرب لاستقطاب الطلبة الجزائريين.. بكل الطرق والوسائل، إلا أنهم لم يظفروا بموقف أو تصريح رسمي يلزم الطلبة الجزائريين، ولم يتجاوز الأمر بعض الاتصالات والمشاورات السرية الحذرة قصد جمع المعلومات الكفيلة باتخاذ موقف من المسألة بعد استشارة القيادة في الجزائر سواء من جمعية العلماء أو من حزب الشعب، بل أكثر من ذلك فقد حرص الطلبة الجزائريون من خلال مراسلات متعددة على طمأنة الأوساط الرسمية الفرنسية بتصريحات ومقالات وزيارات، تجنباً للمشاكل التي قد يتعرضون لها أو قد تلحق بقادة الحزب القابعين بالسجون.

ويتضح من كل ما تقدم ذكره، أن الطلبة الجزائريين كانوا يقومون بدور سياسي لا يستهان به ولئن كان نشاطهم في أول الأمر محتشماً إلى حد ما، بالمقارنة

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

مع النشاط الفياض الذي كان يقوم به الطلبة التونسيون، فإن فترة الأربعينيات قد شهدت انطلاق حركتهم المطلبية والسياسية باتصال متين أكثر فأكثر مع الحزب الدستوري الجديد.. فهؤلاء الطلبة كانوفي كثير من الأحيان حلقة الوصل بين الزعامات السياسية والحزبية الجزائرية ونظيراتها في العالم العربي من ذلك مثلاً شهادة الزعيم الليبي محمد الهادي المشيرقي على دور هؤلاء الطلبة بقوله: «أما بالنسبة لاتصالاتي بالجزائر... فقد سارت بحسب تخطيط طلبة الجزائر في تونس.. وقد تمكّنت بفضلهم من الاجتماع بمصالي الحاج... وفي طريق العودة لطرابلس.. توقفت بتونس واجتمعت بطلبة الجزائر وبالصديق "عمر مالك" وأقاموا لي حفل تكريم في بيت الطلبة[91].

الخاتمة

إن أولئك الطلبة الذين تتكوّن منهم في الواقع الطبقة الثقافية الكادحة يُمثلون بحكم منشئهم، مشاغل البلاد العميقة وضميرها الحي،فقد تميّز نشاطهم الذي قاموا به منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصف الأربعينييات منه في جلّ مراحله بالحيوية والاندفاع والعمل الدائب، كما كان هذا النشاط متلاحقًا توارثته الأقلام كما الأجيال وتفرّد كل جيل بخصوصية المرحلة التي عاشها، ومثلما ساهم في توسيع دائرة هذا النشاط نخبة من المهاجرين بأفكارهم وآرائهم فقد ساهم في تزكيته ومتابعته بحرص فلول من الطلبة الجزائريين بأنفسهم وأموالهم وأقلامهم، وإجمالاً فإن النشاط الوطني الذي بذلوه كان أوضح مواجهة وأشد على الاستعمار من ذلك النشاط الذي بذله الأسلاف في المرحلة السابقة، إذ لم يقتصر عملهم على تحرير الشكاوي وجمع الأموال بل تعداه إلى تنظيم الحركات السياسية بها والمشاركة فيها مشاركة فعالة وكانوا من أعضائها الأوائل.

ومن الاستنتاجات التي يمكن أن نخرج بها هو أن النخب الجزائرية التي قادت مسيرة الحركة الوطنية طيلة المرحلة الاستعمارية نجحت في أن تثري قضية الوحدة المغاربية بأدبيات سياسية وفكرية متنوعة، كما أنها تمكنت أيضاً من توظيف هياكل التنسيق والنضال المشترك لخدمة المسألة الوطنية الجزائرية، لكن الذي تعثّرت في إنجازه هو إسهامها في خلق وعي قومي وحدوي حقيقي قوامه الوحدة السياسية بعد الاستقلال.

وإذا كان هذا النفر القليل من الطلبة الجزائريين المقيمين بتونس قد تمكن بسبب ظروفه الخاصة من الإسهام المباشر في النضال الوطني التونسي، وتزكيته بالتأييد والحماس والكتابة فإن الأغلبية العظمى من الناشئة المهاجرة الذين أتموا تعليمهم بتونس، وتأثروا بقيام الحزب الحر الدستوري، بادروا حال عودتهم إلى الجزائر برفع عقيرتهم والمنادي بتكتيل جهود المصلحين وتكوين الخلايا والتجمعات والأحزاب وإصدار الصحف الوطنية.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وجملة القول فإني لا أخال أن هناك علاقة سياسية وفكرية بلغت هذا الشأو وهذه المكانة بين بلدين عربيين بالقدر الذي بلغته بين تونس والجزائر، أو بالأحرى بين التونسيين والجزائريين الذين تمازجوا منذ القرون السحيقة ليُشكلوا ملامح ومظاهر سياسية وثقافية موحدة استطاعت رغم جحافل الغزاة والمستعمرين الذين وطأت أقدامهم هذه الربوع من الحفاظ على جذور هويتهم الضاربة في أعماق التاريخ.

مجلة الدراسات التاريخية

الهوامش:

[1]- لقد عرفت المنطقة عدة تسميات منها القديمة كنوميديا وموريتانيا أو التي استعملها الأخوين عروج وخير الدين، أو تسمية بلاد البربر التي استعملتها فرنسا الاستعمارية لأغراض التفرقة والسيطرة كما استعمل بعض الكتاب عبارة المغرب الإسلامي، وأخيرًا هناك التسمية المعاصرة الحضارية التي واكبت تنامي الحركات الوطنية في المنطقة وهي: المغرب العربي، إلى جانب تسميات سياسية أخرى ظهرت فيما بعد استقلال المنطقة كالمغرب الموحد أو المغرب الكبير.

[2]- راجع في هذا المنحى، منير (شفيق)، **في الوحدة والتجزئة**، بيروت: دار الطليعة 1979م، ص.ص(20-41).

[3]- للتوسع طالع، مركز دراسات الوحدة العربية(م.د.و.ع)، " ندوة المستقبل العربي حول الوعي القومي في المغرب العربي"، **مجلة المستقبل العربي**، ع76، بيروت: جوان 1985م، ص.ص(126– 144).

[4]- بحري (يونس)، **دماء في المغرب العربي**، بيروت: دار النشر للجامعيين،ب.ت ، ص 25.

[5]- الحصري (أبو خلدون ساطع)، **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية**، ط2، بيروت: م.د.و.ع.1985م، ص 20.

[6] - نفسه، ص.ص(21 – 22).

[7] - م.د.و.ع، **وحدة المغرب العربي**، بيروت، م.د.و.عن 1987م، ص 17.

[8] - العروى (عبد الله)، **مجمل تاريخ المغرب**، ج3،بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م، ص161.

[9]- مالكي (أمحمد)،" إشكالية وحدة المغرب العربي"، **المجلة التاريخية المغربية**، ع(45-46)، تونس: جوان 1986م ، ص 65.

[10]- م.د.و.ع، **وحدة المغرب العربي**، المرجع السابق ، ص ص(50 – 51).

[11]- للتوسع يراجع: الخوني (الصادق)، **من ملامح شخصية المغرب العربي**، تونس: 1983م.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[12]- عن هذه المعطيات التاريخية يراجع: - حسن (علي حسن)، **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس**، القاهرة: مكتبة الخانجي. 1980م. - عز الدين (أحمد موسى)، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985م.- مؤنس (حسين)، **تاريخ المغرب وحضارته**، ج1، بيروت: العصر الحديث للنشر، 1992م.

[13]- الفيلالي (مصطفى)، **المغرب العربي الكبير(نداء المستقبل)**، ط2، بيروت: م.د.و.ع.1989م، ص.ص(18 – 19)- للتوسع يراجع: - الأزهر (علال)، **المسألة القومية والنزعة الأمازيغية**، الرباط: دار الخطابي للطباعة، 1988م، ص 147. جوليان (شارل اندرى)، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ج1، تر: محمد مزالي – البشير بوسلامة تونس: الدار التونسية للنشر، 1969م، ص 34. - محمد (عوض محمد)، **الاستعمار والمذاهب الاستعمارية**، ط3، مصر: دار المعارف، 1957م، ص ص(36 – 37). - الدقي (نور الدين)، **المغرب العربي والاستعمار الفرنسي**، تونس :مطبعة سراس، 1997م، ص 122. - صفوت (محمد مصطفى)، " علاقات فرنسا بشمال إفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "، **مجلة كلية الآداب**، مج6، مج7، الإسكندرية: (1952 – 1953)، ص.ص(36–67). بلحسن (عمار)، **المشروعية والتوترات الثقافية**، بيروت:م.د.و.ع،1982م، ص.ص(320- 326).- لطفي (عيسى)، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال ق 17م**، تونس: دار سراس 1994م، ص.ص(36-46)، (54 – 63). راجع أيضًا:

Belkadoja(T),**Les trois décennies, Bourguiba (témoignage),** Tunis: Ed.Arcanteres: publi sud,1998 (166-177).

[14]- أبو طالب (صوفي)، **دروس في المجتمع العربي**، القاهرة: دار النهضة العربية، 1966م، ص.ص(22-23).

[15]- الغويل (سليمان)، **الدولة القومية**، ط4، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس 1990م، ص.ص(45 – 46).

[16]- خير فارس (محمد)، **تنظيم الحماية الفرنسية في المغرب**، دمشق: جامعة دمشق، 1972م، ص.ص(43).

[17]- للتوسع في رحلة سعيد أبي بكر إلى الجزائر عام 1920م التي نشرها بجريدة **لسان الشعب** بعنوان (شهران في عمالة قسنطينة): - الجابري (محمد الصالح)، **رحلات جزائرية**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ص.ص(77 – 78).

[18] - CAGNE (j), " **Sur les Relations du Maroc et de Turquie au début du (XXsiecle)**: Une nouvelle Approche de Mouvement Jeune Marocain " In. R.H.M n° 39-40, Tunis : dec 1985. PP (219-224).

[19]- للتوسع يراجع:

DEPARMET (J), "Contribution à l'histoire Contemporaine de l'Algérie La politique des Oulémas Algériens ", **In H.F**, n° 07, Jui 1937. P354.**Et aussi -** GILBERT (M), **L'Algérie Réveillée,** Genève: Librairie Droz 1981. P 249.

[20]- للتوسع يراجع:- قنانش (محمد) و قداش (محفوظ)، **حزب الشعب الجزائري، (1937- 1939)م**، الجزائر: د، م، ج، 1985م، ص.ص(70 -76). وأيضاً:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ADRRON (E), " L'étoile Nord Africain et le Modèle Cemmuniste Eléments d'une Enquête Comparative ". In **Cahier de Tunisie t29**. n117. PP(199-235.)

[21]- Julien (A. CH), **l'Afrique du Nord en marche**, Paris: Julliarde, 1952, P23.

[22]- S.D.N, **B2,84, doc n°1**.

[23]-Ablellah (Mazouni**), L'université Zitounienne et la société tunisienne**: Tunis : publication du C.N.R.S.T, 1971, pp(95- 96).

[24]- Ibid, p211.

[25]- المناعي الطاهر، **المثقفون التونسيون والحضارة الغربية**، تونس:دار المعارف، د.ت،ص.ص (124-127)، للتوسع راجع: - الجندي (أنور)، **عبد العزيز الثعالبي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1984م ، ص10.

[26]- الفاسي (علال)، **المغرب العربي منذ ح ع ا**، مصر: المطبعة الفنية الحديثة، 1971م، ص99.

[27] - المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح (مذكرات)**، ج1، الجزائر: ش. و. ن. ت، 1976م ، ص85

[28]- محفوظ (محمد)، **تراجم المؤلفين التونسيين**، ج4، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص264.

[29] - نفسه، ص. ص(264- 265).

[30]- نفسه، ص. ص(266) وللتوسع راجع: -S.D.N, B2- 46.**doc n°(1-2-3-4)**

[31]- المنصف (شرف الدين)، **من رواد المسرح التونسي وأعلامه**، تونس: المكتبة العتيقة، 1997م، ص 09 يراجع أيضاً: S.D.N, B2- 25-

[32]- للتوسع راجع:- محمد (إدريس)، **دراسات في تاريخ المسرح التونسي**، تونس: دار سحر، 1993م، ص. ص (33-36).

[33] - khairallah (Chedly), **Le mouvement jaune –Tunisien**, Tunis: Etablissement Bonici, S.D

[34]- عن ظروف الاعتقال وحيثياته يراجع:- حمادى (الساحلي)، "نشاط الوطنيين التونسيين في المهجر أثناء ح. ع. ا، **م.ت.م**، ع (33- 34) تونس: جوان 1984م، ص.ص(182- 192)، ص182- المدني (أحمد توفيق المدني)،" صفحة مطوية من النضال الوطني- حسين الجزيري رفيقي في السجن"، **الهداية**، ع3 تونس: 2003م، ص62-

A.N.T, Serie, C555, Dossier 30/15, N.F (836), **doc n°74**. Raoul Chilly au Général commandant la division d'occupation de tunisie le: 15/03/1916..**Et aussi:**- A.N.T, Série (M.N), C 16, Dossier 1, **doc n°57**.-A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, **doc n° 836**- A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, **doc n° 26**.

[35]- عن نشاط الخضرحسين راجع: .**Doc n°336 et 886**, A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15-

[36]- عن نشاط إسماعيل الصفايحي راجع: - A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, **Doc n° 881**

[37]- العياشي (مختار)، **الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس المعاصر**، تونس: مركز النشر الجامعي، 2003م، ص 306.

[38] -A.N.T, Série (M.N), C16, Dossier1**, doc n° 57 et 55**.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[39]- عن هذه الوثائق والمقتنيات التي عثر عليها في بيت أحمد توفيق المدني يراجع:

- A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, N.F836, **doc n°63 -Et aussi** - A.N.T, Série E, C550, Dossier 30/15, N.F.836, **doc n°21 et 22**.

[40] - المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ج1، ص87.

[41] -A.N.T, Serie (G.S), Dossier 58, **(JaziriHoucine) N.P(1965).D.Ex (1912-1915)**

[42]-A,N,T, Serie (G.S), Dossier 836, (**Madani.A.Ben Med), N.P(117),D.Ex(1914-1915).**

[43]- A.N.T, Serie (G.S), Dossier 886, **(Ben AzouzMekki) N.P(86).D.Ex (1886-1916).**

[44] - A.N.T, Serie, (G.S), Dossier 1367,**(Ben Houcine lakndhar), N.P (1367); D. Ex (1917-1920).**

[45]- المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ج1، ص. ص(92-97).

[46]-نفسه، ص98.

[47] - نفسه، ص. ص(91- 92).

[48] -A.N.T, Série, C555, Dossier 30/15, **doc n°15** - رسالة الجزيري إلى الكاتب العام للحكومة التونسية

[49] -A.N.T, Série, C550, Dossier 30/15, **doc n°6,** «Note Emmenant de clapier commissaire de police le 15/03/ 1915.

[50] -A.N.T, Série E, C 550, Dossier 30/15, **doc n° 58 «Arrêté du Général "Alix" (C.D.A.T».**

[51]- المدني (أحمد توفيق)، **حياة كفاح**، المصدر السابق، ج1، ص. ص(67-68).

[52]- الجابري (محمد الصالح)، **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس**، تونس: الدار العربية للكتاب 1983م، ص268.

[53]- عن نشاط حسن قلاتي خلال هذه الفترة يراجع: S.D.N, A5.21 **doc n°(1-2-3-4).** -

[54]- شاوش (حباسي)،"محطة في مسار الحركة الوطنية التونسية"، **مجلة الدراسات التاريخية**، ع07، الجزائر: 1993م ، ص148.

[55]- الآجري (محمد صالح)، **تطور الحركة التونسية**، ج1، تونس: الدار التونسية للنشر، 1974م ، ص175، راجع:-وثائق تتعلق بقضية الثعالبي 1920 بقلم عمر بن قفصية S.D.N, **B2**-Et – aussi**A5.11**

وأيضاً:-ببليوغرافيا حول تاريخ الحركة الوطنية وكتاب تونس الشهيدة S.D.N, **A5.11** –

[56]- مناصرية (يوسف)، **الحزب الحر الدستوري**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م ، ص 70.

[57]- نفسه، ص88.

[58]- دبوز (محمد علي)، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج2، الجزائر: المطبعة العربية، 1971م ، ص213، وللاطلاع على مساهمة الطلبة الميزابيين السياسية راجع:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- I.S.H.M.N,A.N.O.M, Bob A 47, C25 H23, Dossier1. **D.EX (1920- 1923) N.F 167**

«Surveillance des relations Entre Nationalistes Tunisiens et Nationalistes Algériens particulier MOZABITES IBADITES»

[59]-A.N.T, Série (M.N), c10, Dossier 5/1, **doc n°6**.

« رسالة سرية بشأن العلاقات بين مثيري الاضطرابات التونسيين والجزائريين موجهة من قبل Robillot، قائد جيش الاحتلال في تونس، إلى وكيل الإقامة العامة فيها بتاريخ 1920/12/17م».

[60] -A.N.T, Série (M.N), c10, Dossier 5/1, **doc n°14**

« رسالة موجهة من قبل الحاكم العام الفرنسي في الجزائر المقيم في تونس بتوقيع الكاتب العام للحكومة نيابة عن الحاكم العام بتاريخ 16/ 1921/02م).

[61] -A.N.T, Série (M.N), c10, Dossier 5/1, **doc n°21**

[62]- حمو (محمد عيسى النوري)، **نبذة من حياة الميزابيين**، ج1، باريس: دار الكروان، 1984م ، ص416.

[63]- نفسه.

[64] - ديوز، **نهضة**، المصدر السابق، ج1، ص39.

[65] - عن نشاط محمد الثميني والحاج صالح بن يحي راجع:

I.S.H.M.N, A.N.O.M, Bob A46, C25H32, Dossier13,**F1312«Note: TAMINI Mohamed Ben Hadg Salah Ben Yahiadit Mohamed Temini»**

[66] - A.N.T, Serie (M.N), c10, Dossier 5/1, **doc n°116 et 117**

مذكرتان شخصيتان بدون توقيع ولا تاريخ من محافظ الاستخبارات في تونس مرفقتان برسالة من وكيل الإقامة العامة بتونس إلى الحاكم العام بالجزائر: بتاريخ 1922/09/25م.

[67]- A.N.T, Série (M.N), C10, Dossier 5/1, **doc n° 36**.

(مذكرة من المقيم العام الفرنسي في تونس، إلى الحاكم العام في الجزائر بتاريخ (1921/6/14م))

[68] - عن ذلك يراجع:- الخرفي (صالح)، **عبد العزيز الثعالبي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1995م، ص 433 وأيضاً: - دبوز (محمد علي)، **أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج3، الجزائر: مطبعة دار البعث: 1976م، ص33

[69]- أبي اليقظان (إبراهيم بن عيسى)، **ديوان أبي اليقظان**، الجزائر: المطبعة العربية، 1350هـ، ص64- و ص 86.وأيضاً: - الخرفي، **الثعالبي**، المرجع السابق، ص. ص (435-440).

[70]- **المنير**، الجزائر: 1921/6/5م، وله قصائد أخرى عن الثعالبي عقب السماح له بالعودة إلى تونس عام 1937م، أنظر: **الأمة**، ع130، الجزائر: 1937/7/20م. ناصر(محمد)، **أبو اليقظان وجهاد الكلمة**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1980م، ص 278.

[71] - حمادي (الساحلي)، **تراجم وقضايا معاصرة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2005م ، ص 431.

[72]- الخرفي (صالح)، **الجزائر والأصالة الثورية**، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م ، ص. ص (83-84)

[73]- الجابري، **النشاط العلمي**، المرجع السابق، ص298.

[74] - الفاسي (علال)، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، المغرب: دار الطباعة المغربية، 1948م، ص 69. للتوسع في مختلف أنشطته راجع: - ادريس (محمد) وبن ميلاد (أحمد)، "الخلافة ومؤتمر القاهرة والحزب الدستوري"، **م.ت.م**، ع1، تونس: 1974م ، ص213- "الحركة الوطنية بباجة"، **لسان الشعب**، تونس: 1924/09/24م.

[75]- "سؤال إلى النهضيين"، **لسان الشعب**، تونس 1924/10/29م.

[76]- العياشي، المرجع السابق، ص 268.

[77] - A.S.H.M.N, A.N.O.M, Bob A46, C25 H32, **Dossier 9, F71**.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

Objet: Manifestation dans la salle de cinéma le mondial (N. St 6.3.027.6), Tunis 26/07/1937.

[78] - هلال (عمار)، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة**، الجزائر: د.م.ج، 1995م، ص. ص(356- 357).

[79] -I.S.H.M.N, A.N.O.M, Bob A46, C25 H32, Dossier 13, **doc n°(1212-1213-1214- 1215- 1216- 1217- 1218)** – تقارير أمنية عن لحساسنة الجباري ونشاطه السياسي.

[80] - الجابري (محمد الصالح)، **الأدب الجزائري في تونس**، ج1، تونس: بيت الحكمة، 1991م، ص(140-141).

[81] - S.D.N, B1. 17, **doc n°(1-2-3-5)**.

[82] - الذوادي (رشيد)، **حسن النوري**، تونس: منشورات محمد بوديبة، 1997م، ص. ص(10- 13).

[83] - حمادي (الساحلي)، **تراجم**، المرجع السابق، ص433.

[84] - فضلاء (محمد الحسن)، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، ج2، الجزائر: دار هومة، 2000م، ص141.

[85] - **العمل**، تونس: 1938/02/17م.

[86] - الخرفي(صالح)، **شعر المقاومة الجزائرية**، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981م، ص143.

[87] - حمادي (الساحلي)، **تراجم**، المرجع السابق، ص307.

[88] - **مقابلة مع الأستاذ الطاهر بن عيشة**.فندق باب البحر- طرابلس- الجماهيرية الليبية، 2001/07/27م، 20:30- 23:10.

[89] - حماني (أحمد)، **شهداء علماء معهد بن باديس**، الجزائر: قصر الكتاب، 2004م ، ص35.

[90] - العياشي، المرجع السابق، ص ص(255- 256).

[91] - المشيرقي (الهادي إبراهيم)، **قصتي مع ثورة المليون شهيد**، الجزائر: دار الأمة، 2000م، ص. ص(45- 47).